جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية – الدراسات العليا

مظاهر السخرية في كتاب الأغاني

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات

نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ تخصص الأدب

من الطالب

مروان هيلان محمود

بإشراف

أ.م.د ربى عبد الرضا عبد الرزاق

١٤٤٦هـ ٢٠٢٤م

المبحث الأول

مرجعيات السخرية السياسية

تمثل السخرية السياسية واحدة من الأساليب التي أسهمت في لَعِبِ أدوارٍ مختلفةٍ على مدى الأزمنة والعصور، وقد أحدثت تغييرًا في السياسات التي انتهجها الولاة والحكام، إذ إن السياسة على مرّ العصور تشكل ((واقع الحكومة في طريقة صنع قراراتها عن طريق المؤسسات الحاكمة))[١]، أيّ أنّ السلسلة السياسية الحاكمة برغم تغير الدّساتير وتجدد القوانين كان لها الأثر الدائم في ديمومة رفاهية الشعوب أو فقرها، ودوام ترف الشّعوب أو بؤسها، هذا ما تراه السياسة المعاصرة أما واقع العصور التي أشار إليها أبو الفرج بِدءًا من العصر الجاهلي مرورًا بعصر صدر الإسلام والعصر الأموي إلى العصر العباسي الذي انتهى إليه، فقد كان الحكم السياسي للخلافة في العصور العباسية هو السلطة العليا في الدولة، على الرغم من أنّ المعلن في ظاهرها هو من حكم العرب، ويذكر الدكتور شوقي ضيف في قوله: ((وباطنها كان بيد الحكم الساساني الذي ينفذ الأحكام العربية للدولة العباسية))[٢]، وهذا يعني أنّ وجود تلك السياسات قائم على سلطة أعلى تتحكم في صعود ذلك الوالي أو الحاكم إلى الحكم، فإن كان هذا يشكّل جوهرًا من جواهر النظام السياسي في ذلك العصر، فما الذي يمنع السخرية أن تطرق أبواب الوالي أو الحاكم أو الأمير؟؛ لأنّ ((هدف السخرية هو أن تهاجم وتعتدي وتفضح، وترمي هدفا))[٣]، ويعني ذلك أنّ هذه المرجعية تكون انطلاقة مؤسسة للسخرية السياسية.

---

(١) الرواية السياسية، طه الوادي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٣: ١٤.

(٢) يُنظر: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٥: ١٩-٢٠.

(٣) أبحاث في الفكاهة والسخرية، صابر، احمد، وآخرون، دار ابي رقراق للطباعة، الرباط، ط١، ٢٠٠٨: ٥٦٠.

إن المرجعيات السيّاسية الساخرة لها تأثير كبير على النص السّـــاخر في مختارات كتاب الأغاني، فقد كتب الأصفهاني هذا الكتاب في القرن الرابع الهجري الذي شهد العديد من الإخفاقات السياسية أبان وأثناء حكم العباسيين والذي كان مسيرا من قبل جبابرة الأتراك الذين تحكموا بمقاليد الحكم، ويذكر أبن الأثير(ت:٦٣٠هـ)، في كتابهِ (الكامل في التأريخ) قوله: إنّ ((توسع نفوذ الأتراك كان في خلافة المعتصم والواثق، وقد اعتمد الخليفة المعتصم على العنصر التركي اعتمادًا كليًا، ففي الجيش مثلًا استغنى بهم عن معظم الجنود العرب))[١] وقد أدى هذا إلى العديد من الإخفاقات السياسيّة، فقد عاصر الأصفهاني هذه الأزمة السياسية، وتأثر بتلك النزاعات التي كانت بسبب الواقع المتصدع، والتي أثرت في تكوين اختياراته في العديد من النصوص النثرية، والأبيات الشعرية، وتقسم مرجعيات السخرية السياسية من الدرجات الرفيعة والعالية من أفراد المجتمع أصحاب النفوذ مثل الملوك والحكام والولاة والقضاة والمسؤولين على قسمين، يشتمل الأول على السخرية من الملوك والولاة والحكام ويشتمل الثاني على السخرية من القضاة والمسؤولين، مع إن السخرية بهذا الشكل لا يمكن لها أن تكون وجهًا لوجه ولا بد لها من أن تشتمل على سخرية مبطنة، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تكون ظاهرة؛ خوفًا على صاحب السخرية وقائلها، فيمكن بهذا الحال أن تكون تلك السخرية مبطّنة بشكل يوحي إلى معنى ويضمر معنى آخر، ومن الملاحظ أن السياسات الخارجية ترتبط بالعديد من الإخفاقات التي يتم الإشارة عنها في مجال تلك السخرية وهذا يوضح مدى أهمّيتها في الفصح عمّا خُفي من سلبيات وإخفاقات وانتكاسات سياسية في زمن تلك الطبقات السياسية المتنفذة.

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٩٧، ١/ ٩٧٦.

أ- السخرية من الملوك والولاة والحّكام:

تتميّز السخرية من الملوك والولاة والحكام بطابع مختلف يشوبه الحذر في انطلاق الخطاب الساخر، ويمكن أن نجد تلك السخرية عند أبي الفرج الأصفهاني فيما نقله من أخبار في كتابه مشتملة على ما أخبر به الأصفهاني عن (يحيى بن نوفل(ت:١٢٥هـ))[١] مع ابن عبدل[٢] في خبرهما، حيث كان ابن عبدلَ يكتب حاجته على عصاه فلا تُـردّ، فقال الأصفهاني: ((أخبرني احمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا محمد بن إدريس القيسي بواسط قال حدثنا العنبي قال: كان الحكم بن عبدل الأسدي أعرج لا تفارقه العصا، فترك الوقوف بأبواب الملوك، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله، فلا يُحبَس له رسولٌ ولا تُؤخَّر له حاجةٌ، فقال في ذلك يحيى بن نوفل: [الطويل]

عصـــا حَكَـــمٍ فـــي الـــدار أوّلُ داخـــل ... ونحـن علـى الأبـواب نُقْصَـى ونُحْجَـبُ
وكانـــت عصـــا موســـى لِفِرْعَـــوْنَ آيَـــةً ... وهـــذي لعمـــرُ الله أدهـــى وأعجـــبُ
تطـــاع فـــلا تُعْصـــى ويُحْـــذَرُ سُـــخْطُها ... ويُرْغَـبُ فـــي المرضـــاة منهـــا وتُرْهَـــبُ

قال: فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس منها؛ فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى: يا ابن الزانية! ما أردتَ من عصايَ حتىّ صَيَّرتها ضِحكةً؟ واجتنب أن يكتب

---

(١) يحيى بن نوفل: هو يحيى بن نوفل الحميري اليماني، أبو معمر، ولد عام (١٢٥هـ)، وهو شاعر هجاء، يكاد لا يمدح أحدا. أصله من اليمن، وشهرته في العراق. كان في أيام الحجاج الثقفي، يُنظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢، ١٧٤/٨.

(٢) ابن عبدل هو: الحكم بن عبدل الأسدي أو الحكم بن عبدل الغاضري هو الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال من بني غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة، اشتهر باسم الحكم ابن عبدل الأسدي، يُنظر: تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥، ١٥/ ٢٦.

عليها كما كان يفعل، وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع))[١].

ومن الملاحظ في هذه الأبيات أن يحيى بن نوفل قائل هذه الأبيات كان لديه اطلاع واسع على مجريات الأحداث السياسية في عهد الحجاج بن يوسف الثّقفي، فقد ذكر في خبره ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)[٢] أنّهُ ((كان (أبان بن الوليد البجلىّ) في زمن الحجّاج بن يوسف في كتّاب (ديوان الضّياع)، يجرى عليه الرزق))[٣]، ويحتل يحيى بن نوفل مكانة مرموقة أبان حكم بن الوليد البجلي في زمن الحجاج باعتبار كونه من كتّاب ديوان الضّياع وهو ما يشرف على أملاك الخليفة؛ لما فيها من قرب من الخليفة والأمراء وبما يجري في جلسات الخليفة من أحاديث وأخبار.

إنَّ منابع السخرية السياسية عند يحيى بن نوفل كانت فيّاضةً عند تشكيل الصورة الساخرة في أبياتهِ، وهي سخرية أريد بظاهرها تمكين العصا على الواقفين بباب الملوك والأمراء، مع أنَّ الإنسان أكبر وأبين حجةً من الجمادات التي لا يمكن المقارنة بينها وبين الإنسان بكامل تصوير الله تعالى من العقل والجسد والأحاسيس والمشاعر، لكن الأبيات توحي بأمر آخر في تفضيل الجمادِ على الإنسان، في صورة لأبيات ساخرةٍ عكست الواقع، ويبدو أنّ هنالك تشكُّلًا تاريخيا لبناء صورة النظام السياسي للسلطان والوالي عبر السنين؛ ما دفع الشاعر إلى تخصيص عصا ابن عبدل في كيفية دخولها على الملوك والحكام وتشبيه تلك العصا على أنها عصا موسى (عليه السلام)، وفي الآيات القرآنية الكريمة تبين مقدرة العصى التي أرسلها الله تعالى آيةً لفرعون، فيقول جُلّ في عُلاه ((**فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ**

(١) الأغاني: ٢/ ٢٤٣.

(٢) الشعر والشعراء، بن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٩، ٢/ ٧٢٩.

(٣) ديوان الضياع: هو الديوان الذي يشتمل على أراضٍ كثيرة منتشرة في كل أصقاع الدولة الإسلامية ومسجلة باسم الخليفة وأسرته، يُنظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة،٣، د.ت، ٨: ١٤٣.

ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ))[1] ويقول أيضًا ((وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ)) [2]، وهو ما يدلّ على أن تلك العصا في ذلك الموضع آية أرسلها الله تعالى؛ لتبطل ما صنع فرعون وملأه الذين كفروا بالله تعالى، وقد حاول الشّاعر منطلقًا من مرجعيته الساخرة تشبيه عصا ابن عبدل بأنها آية من الله تعالى عالية القدر مرموقة المنزلة عندما وقفت عند أبواب الولاة والأمراء فُضِلَت على النّاس جميعًا، وأن العصا كما يعهد بها هي رمز للأنبياء والخطباء ورمز للقوة والجبروت عند الملوك، لتُظهِر الأبيات وجه المقارنة بين مجالس الولاة والأمراء مع مجلس فرعون، الذي يمثل شكل من أشكال الظلم والاستبداد وأنّ أقوال وأفعال هؤلاء الأمراء والملوك نقيض ما تظهر من ترحيب، أو إكرام للواقفين على أبوابهم، من خلال ذكر العصا والآية وهي عصا موسى (عليه السلام) وعصا ابن عبدل التي عدّها الشّاعر مع فارق التشبيه آيتينِ، لكن شتان بين تشابه آية موسى (عليه السلام) والتي هي من الله تعالى، والآية التي ذكرها الشاعر والتي تحيل المعنى إلى أن هناك واسطة وتمييز للعصا عن الخلق، ويُـلاحظ في أبيات يحيى بن نوفل أنّ مرجعيات السخرية السّياسية حققت حضورها وأكدت على عمق معرفة الشاعر بسياسات ذلك العصر لتأتي السخرية أشدّ وقعًا.

ومن شواهد السخرية السياسية في كتاب الأغاني ما ذكره الشاعر (أرطاة بن سُهَيّة المُريّ)[3] مع الخليفة عبد الملك بن مروان، ومن الواضح أن أرطاة على علاقة وطيدة بالخلفاء من حيث معرفتهِ بسياسات بني أمية في مجالسهم ودواوينهم التي كان يرتادها،

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠٧.

(٢) السورة نفسها، الآية:١١٧.

(٣) أرطأة بن سُهَيّة المُريّ: هو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك الغطفاني المري، أبو الوليد ابن سهية وهي أمه بنت زامل، ولد في عام (ت:٦٥هـ)، وهو شاعر من فرسان الجاهلية، معمر عاش قريباً من نصف عمره في الإسلام وأدرك خلافة عبد الملك بن مروان ودخل عليه وعمره ١٣٠ سنة، وأنشده من شعره، وعمي قبل وفاته، يُنظر: الوَحشيَّات وهوَ الحمَاسَة الصُّغرى، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب (ت ٢٣١هـ)، تح: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ٢٠١٢، ١/ ٤٧٤.

ويذكر شريف علاونة في كتابه شعر أرطاة بن سهية المريّ من شعراء العصر الأموي حول مدى قربهِ للحاضنة السياسية في بني أميّة بقولهِ: ((كان أرطاة ذا صلة وثيقة بخلفاء بني أمية، فقد وفد عليهم ومدحهم، مما جعل بعض أصحاب كتب التراجم يعدونـه من شعراء الإسلام في دولة بني أمية))[١]، وتذكر المصادر أيضًا أن أرطاةَ قد ((وفد على معاوية بن أبي سفيان وإذا كان لم يصلنا شيء من شعره في مديح معاوية)) [٢]، فإنّ هناك خبراً في «الأغاني» يشير إلى ((أن معاوية))[٣]، ((سمع شعره ورفده))[٤]، وأن التقرب من خلفاء وولاة بني أميّة كوّن مرجعيّة سياسية لدى أرطاة انطلق منها لرفد أبياتهِ الشّعرية السّاخرة من نظام الحكم، ويقول أبو الفرج الأصبهاني في خبره: ((دخل أرطاة بن سُهيّة على عبد الملك بن مروان، فقال له: كيف حالك يا أرطاة؟ وقد كان أسنَّ، فقال: ضعفت أوصالي، وضاع مالي وقلَّ مني ما كنت أُحِبَّ كثرته، وكثر مني ما كنت أحب قلته، قال: فكيف أنت في شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع، وعلى أني القائل: [الوافر]

رأيــتُ المــرءِ تأكلــه الليــالي كأكــل الأرض ســاقطةِ الحديــدِ
ومــا تَبغــي المنيَّــةُ حِــينَ تــأتي علــى نَفْــس ابــن آدمَ مــن مَزِيــدِ
وأعْلــمُ أنهــا ســتكرُّ حَتَّــى تُــوَفِّي نَــذْرَها بــأبي الوليــدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال: بَلْ تُوفّي نذرها بك ويلك! ما لي ولك؟ فقال: لا تُرِع يا أمير المؤمنين، فإنّما عَنيْتُ نفسي، وكان أرطاة يُكنى أبا الوليد فسكن عبد الملك، ثم

(١) شعر ارطأة بن سهية المريّ من شعراء العصر الأموي، شريف علاونة، دار المكتبات والوثائق الوطنية، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ٢٠٠٦: ٢٤.

(٢) الأغاني: ١٣/ ٢٨.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، مصدر سابق، ٨/ ٣.

(٤) الأغاني، المصدر نفسه: ١٣/ ٤١.

استعبر باكياً وقال: أما والله على ذلك لَتَلمُنْ بِـي))[1].

يُـلاحظ من أبيات أرطاة في حضرة عبد الملك بن مروان كيفية استعمال مرجعيتهِ السياسية التي جعلتهُ يرمي أبيات السخرية في أحضان الخليفة، مع أنّ الشّبه في كنيتي أرطاة وعبد الملك واحد، لكنّ عبد الملك قد أرتاع وفزع من تلك الأبيات حين سماعها، وتظهر الأبيات أنّ أرطاة كان كهلًا كبير السنّ وقد أعرض عن كل الملذات ولم يرَ في حياته إلا ما تبقى من أيامٍ، وقد كانت تلك الأبيات في رثاء نفسه وذكر الحسرة والندامة على ما فات من لهو وعبثٍ في الدنيا، وقد تجلّت مرجعية أرطاة السياسية في خطاب عبد الملك خطابًا مباشرًا، يتجلى فيه بوضوح الدّعاء بالموت على السّامِع، ولربما قصد الشاعر تلك الأبيات وذكر الدعاء الذي جعل المنية تكرَ على أبي الوليد، وهذا ما اتضح عندما ارتعدت أوصال الوالي بمفارقة كبيرة ومدهشة فسَّر فيها الشاعر كلامه كي لا يفهم السياق بشكل يؤدي بالشاعِر إلى العقوبة.

ومن الملاحظ تحقق أسلوب السخرية المباشرة من الشّاعِر بالاعتماد على مرجعياته السياسية وقربه من والخلفاء والولاة، فكان الوقوف أمام الوالي والدعاء بالموت (لشخص يكنى أبا الوليد) حقق الكثير من الجرأة في حضرة الوالي التي جعلته يفسر الأبيات وكأنها كتبت عليه لولا تفسير الشّاعر ذاته الأبيات ودفاعه عن نفسهِ، ويظهر النسق المضمر في هذه الأبيات جليًا عند انتقاء مفردة (أبا الوليد)، التي تشارك فيها الوالي والشاعر على حدٍ سواء، لإضمار مُراد الشاعر عند الدعاء بالموت على (أبا الوليد)، وكون هذا نسقًا مضمرًا يرتكز على محاكاة المفردة التي تشابه فيها كلا الرجلين(الوالي والشاعر)، أما الناحية الأخرى فهي كيفية تملص الشاعر بذكاء كبير لتفادي وقوعه في فخ الوالي.

(١) الأغاني: ١٣/ ٢١.

ب- السخرية من القضاة والمسؤولين:

ونجد السخرية من القضاة والمسؤولين المتنفذين في ذلك الوقت حاضرةً فيما جاء من خبر أبي دُلامة وهو ((زند- بالنون- ابن الجون، وهو كوفي أسود، مولى لبني أسد، أدرك آخر أيام بني أميّة))[١]، الذي ((كان صاحب نوادر وحكايات وأدب ونظم ولم يكن له نباهة في أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس))[٢] ، وهذا يعني أن الشاعر واسع الاطلاع على الآداب والثقافات في كلا العصرين الأموي والعباسي، ويذكر ابن المعتز(ت:٢٩٦هـ) في أنّهُ ((انقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون نوادره، ومدح المنصور))[٣]، ويُلاحظ كثرة اختلافهِ إلى الأمراء والخلفاء زادت من مرجعياته السياسية عمقًا؛ بسبب مجالستهِ تلك الطبعة والجلوس معهم ورفقتهم على اختلاف عصورهم في حياتهِ، وأنّهُ قد مدحهم في الكثير من القصائد، ومن ذلك ما كان من خبر أبي دُلامة في كتاب الأغاني عن مخاصمته رجلًا إلى عافية القاضي، حيث قال: ((أخبرني أحمد محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: خاصم رجلًا أبا دلامة في داره، فارتفعا إلى عافية القاضي فأنشأ أبو دُلامة يقول: [المتدارك]

((لَقَـد خَاصَـمَتني دُهـاةُ الرّجـالِ وَخَاصَـــمتُها سَـــنَةً وَافِيـــةْ
فَمَـــا أَدْحـــضَ اللهُ لـــي حُجَّـــةً وَلا خَيَّـــبَ اللهُ لـــي قَافِيـــةْ
ومَـنْ خِفْـتُ مـن جَـوْرِهِ فـي القَضَـا فَلَســتُ أخافُــكَ يَــا عَافَيَــةْ

فقال له عافية: أما والله لأشكونّـك إلى أمير المؤمنين ولأعلِمَنَّـه أنك هجوتني قال: إذاً يَعْزِلَك.

---

(١) شرح مقامات الحريري، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي (ت ٦١٩ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٦، ٣/ ١٧٣.

(٢) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الخطيب البغدادي، ٨/ ٤٤٨.

(٣) طبقات الشعراء، ابن المعتز، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت ٢٩٦هـ)، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف–القاهرة، ط٣، (د. ت)، ٥٤.

قال: ولِمَ؟ قال: لأنك لا تعرف المديح من الهجاء، فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة))[1].

يُلاحظ في هذه الأبيات أنّ أبا دلامة كان مُلمّا بما يقولُ وواعيًا، لما عليه من فطنة وفهم في مخاطبة ومحاورة الخلفاء والولاة، حيث إنّ إنشاده تلك الأبيات في حضرة عافية القاضي تأتي بمعنى المديح عند حضرة عافية القاضي، مع أن ذلك القاضي فهم تلك الأبيات بشكل مغاير، فالذي كان بين أبي دُلامة وبين عافية القاضي يبين أنّ أبا دُلامة في أبياتهِ التي ذكر فيها عافية القاضي جاءت متأرجحة بين المدح والهجاء وذلك يعني أن مقصد أبو دُلامة في أبياته جاء لغرض المديح والإشادة بالقاضي عافية، أما القاضي فقد فهمها بشكل خاطئ فكان فهمه لها بقصد الهجاء، فمقام القاضي كبير لا يمكن أن يتجرأ عليه أحد، فكان بروز الجرأة في تلك الأبيات آتيًا من معرفة أبو دلامة بالسياسة، فقد أبدى القاضي غضبه وشكاه إلى الخليفة ووقف في حضرة الخليفة مدافعًا عن نفسه وأبياتهِ لجهل عافية القاضي معنى الأبيات، وقد حكم له المنصور ببراءتهِ وأعطاه جائزة على الرغم من الأبيات التي قيلت في حق القاضي تتأرجح بين المدح والهجاء، ويبين هذا الخبر المرجعيات السياسية الساخرة التي يحملها أبو دلامة في أدبياتهِ بسبب معرفته بأحوال الساسة والخلفاء والأمراء، ويتبين من خبر أبي دلامة وعافية القاضي مع الخليفة المنصور أنّ مرجعيات السخرية السياسية عند أبي دلامة كانت ظاهرة بشكل كاملٍ وواضحٍ.

وورد فيما نقله أبو الفرج الأصفهاني في السخرية السياسية من المسؤولين وأصحاب المناصب في قوله: ((أخبرني الحرمي قال: حدثني الزبير قال: حدّثني صالح عن عامر بن صالح قال مدح الحزين عمرو بن عمرو بن الزبير فلم يعطه شيئاً، وأخبرني بهذا الخبر عمي تاما واللفظ له ولم يذكر الزبير منه إلا يسيراً قال: حدثنا الكراني قال حدثنا آلعمري قال حدثني عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال: دخل الحزين على عمرو بن

(١) الأغاني: ١٠/ ٢٠٤.

عمرو بن الزبير بن العوام منزله فامتدحه وسأله حاجة فقال له: ليس إلى ما تطلب سبيل ولا نقدر أن نملأ الناس معاذير وما كل من سألنا حاجة استحق أن نقضيها ولرب مستحق لها قد منعناه حاجته.

فقال الحزين: أفمن المستحقين أنا؟

قال عمرو: لا والله وكيف تكون مستحقا لشيء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس وتهتك حريمهم وترميهم بالمعضلات إنما المستحق من كف أذاه وبذل نداه ووقم أعداه.

فقال له الحزين: أفمن هؤلاء أنت؟

فقال له عمرو: أين تبعدني، لا أم لك من هذه المنزلة وأفضل منها.

فوثب الحزين من عنده وأنشأ يقول: [الوافر]

حَلَفْتُ وما صَبَرْتُ على يمينٍ ... ولو أُدعى إلى أيمانِ صَبْرِ
بربِّ الراقصاتِ بِشُعْثِ قومٍ ... يُوافون الجِمارَ لصُبحِ عشرِ
لوَ انَّ اللؤم كان مع الثريَّا ... لكان حليفَه عمرُو بنُ عمرو
ولو أنِّي عرَفْتُ بأنّ عَمْراً ... حليفُ اللؤم ما ضيَّعْتُ شِعري))[1]

يُلاحظ في أبيات الحزين في عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام الذي كان صاحب الشرطة وهو مسؤول عن حفظ النظام وقد استعمله والي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق على شرطتها، فعمرو هنا بمنزلة سياسية، وقد كانت أبيات الهجاء الساخر موجهة إليه من قبل الشاعر الحزين الذي امتلأ غيضًا من عمرو بسبب منعه العطاء وإهانته له في دار عمرو، ومن الملاحظ هنا أنّ الشاعر الحزين قد اعتمد ذلك الأسلوب الساخر في هجائه عند خروجه من دار عمرو وهو يعتقد أن الكلام لا يصل إلى صاحب الشرطة، والحقيقة خلاف ذلك؛ ذلك لأن صاحب الشرطة عمرو بن عمرو بن الزبير كان أدرى

(١) الأغاني: ١٥/ ٢٢٥.

بالشاعر الحزين؛ لأنّه يعلم مدى تجاوزه على الناس وقيامه بهجوهم وقول الكلام الفاحش فيهم، وقد حققت السخرية السياسية قدرًا كبيرًا في أبيات الحزين واحتلت مكانة في السخرية وقد أدّت المحادثة التي جرت بين عمرو والحزين قبل أبيات السخرية، التي قالها الحزين إلى ما حدث من سؤال الحزين لعمرو في قوله: أفمن هؤلاء أنت؟؛ إذ أجابه عمرو: أين تبعدني لا أم لك من هذه المنزلة وأفضل منها.